

الديستوبيا في رواية " وبائي هيجان "

إثارة المرض للأديب ابن صفي

(دراسة موضوعية)

إعداد

منى حنقها أحمد محمود

قسم اللغة الأردنية وآدابها، كلية الدراسات الإنسانية،

جامعة الأزهر، القاهرة

الديستوبيا في رواية " وبانى بيجان " إثارة المرض

للأديب ابن صفي (دراسة موضوعية)

منى حندقها أحمد محمود

قسم اللغة الأردنية وآدابها، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر،
القاهرة، مصر.

البريد الإلكتروني: MonaMahmod.56@azhar.edu.eg

الملخص:

الديستوبيا [المدينة الفاسدة] هو المكان الذي تسوده أجواء القتل، والدمار، والتلوث البيئي، والفوضى، والتآمر، والفساد، والخوف من المستقبل، وهو المصطلح المضاد لليوتوبيا [المدينة الفاضلة] وهما من المصطلحات المتداولة في علم الاجتماع، والتي لها مردود قوي في مجال الدراسات الأدبية الراهنة؛ بسبب تزايد مخاوف المجتمعات من آثار الفساد الذي عم، وانتشر؛ ومن ثم تهدف الديستوبيا إلى تناول علاقة الإنسان بالمدينة، وبالمجتمع الأمر الذي يجعلها تدخل في نطاق سوسيولوجية الأدب. والرواية محل الدراسة كانت قد كُتبت، ونُشرت في عام ١٩٥٨م أي في فترة الحكم العسكري في باكستان، وهذه الفترة من الحكم كانت تمتلئ بالمؤامرات، والتجسس، والفوضى، وفقدان الأمن، والخوف من المستقبل، ونتيجة لهذه البيئة الديستوبية التي عاش فيها "ابن صفي" أقدم على الكتابة عن المدن التي يسودها الانحطاط والفساد الأخلاقي بسبب استبداد السياسات المحلية والدولية؛ لينبه الناس أملاً في الحصول على اليوتوبيا المفقودة من خلال التعبير عن رفض الواقع الديستوبي، والإشارة إلى خطورته، ومن ثم تحاول هذه الدراسة التعرف على الدعامات التي استند إليها "ابن صفي" في التعبير عن رفضه،

الديستوبيا في رواية "وبائى بيجان" إثارة المرض للأديب ابن صفى

واحتجابه. وعليه فالدراسة تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات التالية : ما هي الديستوبيا، وكيف تجلت في رواية [وبائى بيجان]، وما هي الدعامات التي استند إليها ابن صفى في وصفه لها.

الكلمات المفتاحية: ديستوبيا، يوتوبيا، المدينة الفاضلة، المدينة الفاسدة، الرواية الديستوبية.

Dystopia in the Novel “Stirring up The Epidemic”

By The Writer Ibn Safi (Objective Study)

Mona Handaqaha Ahmed Mahmood

Department of Urdu Language and Literature, Faculty of Humanities, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: MonaMahmod.56@azhar.edu.eg

Abstract:

Dystopia [the corrupt city] is a place in which an atmosphere of murder, destruction, environmental pollution, chaos, conspiracy, corruption, and fear of the future prevails. It is the opposite term to utopia [virtuous city], which are two of the terms used in sociology, and which have a strong impact in the field of studies. current literature; Due to the increasing fears of societies about the effects of corruption that has prevailed and spread; Hence, dystopia aims to address the human relationship with the city and with society, which makes it fall within the scope of the sociology of literature. The novel under study was written and published in 1958 AD, that is, during the period of military rule in Pakistan. This period of rule was filled with conspiracies, espionage, chaos, loss of security, and fear of the future. As a result of this dystopian environment in which Ibn Safi lived, he began to Writing about cities plagued by decadence and moral corruption due to the tyranny of local and international politics; To alert people in the hope of obtaining the lost utopia by expressing rejection of dystopian reality and pointing out its danger, and then this study attempts to identify the pillars on which Ibn Safi relied in expressing his rejection and protest. Accordingly, the study seeks to answer the following questions: What is dystopia, how

did it appear in the novel and what are the supports that Ibn Safi relied on in his description of it.

Keywords: dystopia, utopia, utopia, corrupt city, dystopian novel.

الديستوبيا [المدينة الفاسدة] هو المكان الذي تسوده أجواء القتل، والدمار، والتلوث البيئي، والفوضى، والتأمر، والفساد، والخوف من المستقبل، وهو المصطلح المقابل لليوتوبيا [المدينة الفاضلة] (١) وهما من المصطلحات الدارجة والمتداولة في العديد من العلوم المعرفية، أشهرها علم الاجتماع، ولها أيضاً مردود قوي في مجال الدراسات النقدية الأدبية الراهنة؛ بسبب ازدياد المخاوف من الأوضاع المجحفة، والفساد الذي عم، وانتشر؛ حيث يهدف الفن الروائي الديستوبي إلى تناول علاقة الإنسان بما يجري في فضاء المدينة، والمجتمع الأمر الذي جعله يدخل في نطاق سوسولوجية الأدب الذي يتناول بالدراسة الموضوعات المتعلقة باللاوعي المجتمعي داخل المتخيل السردي مرتكز في ذلك على جدلية النص وخلفيته المجتمعية، وما يحويه من مضامين، والتي فيها تكون بؤرة التركيز مسلطة على البيئة التاريخية، والاجتماعية والسياسية، والثقافية التي تتمحور داخل السرد الأدبي فنياً، وجمالياً .

الهدف من الدراسة :

إن الرواية محل الدراسة كانت قد كُتبت، ونُشرت في عام ١٩٥٨م أي في فترة الحكم العسكري في باكستان، وهذه الفترة من الحكم كانت تمتلئ

١ - صاغ توماس مور كلمة يوتوبيا لأول مرة، واختارها لعنوان كتابه الذي وصف فيه جزيرة خيالية، وهي كلمة تتكون أصلاً من كلمتين يونانيتين هما ou : بمعنى لا و TOPOS بمعنى مكان، بحيث تعني الكلمتان معاً : " اللامكان " أو المكان الخيالي "، وهي تسمى في العربية المكان الطيب أو المثالي، وكذلك المدينة الفاضلة .

- أنظر : يوتوبيا، مور توماس، ترجمة : أنجل بطرس سمعان، الطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م . وأيضاً : انسايكلوبيديا نفسيات سانتس، بوبى جونسون، باكستان، ٢٠٢١م، ص ٤٥٥.

الديستوبيا في رواية "وبائى بيجان" إثارة المرض للذئب ابن صفى

بالمؤامرات، والتجسس، والفوضى، وفقدان الأمن، والخوف من المستقبل، ونتيجة لهذه البيئة الديستوبية التي عاش فيها ابن صفى أقدم على الكتابة عن المدن التي يسودها الظلم، والفساد الأخلاقي بسبب استبداد السياسات الوطنية والدولية؛ لينبه الناس أملاً في الحصول على واقع أفضل من خلال كشف ورفض الواقع الديستوبي، والإشارة إلى تداعياته، ومن ثم تحاول هذه الدراسة التعرف على الدعامات التي استند إليها ابن صفى في التعبير عن رفضه، واحتجاجه . وعليه فالدراسة تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات التالية : ما هي الديستوبيا ؟ وكيف تجلت في رواية [وبائى بيجان] وما هي الدعامات التي استند إليها ابن صفى في وصفه لها ؟

أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة في كونها وسيلة للوقوف على مشكلات المجتمعات الديستوبية من خلال أحد نماذج الرواية الأردنية التي تمثل خطأً أدبياً، وفنياً واضحاً عن الشر، والفساد الذي انتشر في المدن، والبلدان، وما تضمنته من معطيات واقعية، وتداعيات دفعت بالقارئ إلى التفكير بعمق حول المجتمع الذي تعمه الفوضى والفساد من أجل البحث، ومحاولة الوصول إلى المجتمع اليوتوبي .

منهج الدراسة :

تقوم الدراسة على المنهج التكاملي الذي يصف الظواهر في الرواية، ويقوم بتحليلها في ضوء معطيات الواقع داخل النسق السردي، وخارجه .

وعليه فقد تم تقسيم هيكل البحث إلى :

مقدمة : وفيها عرض لمخلص البحث، وأهميته، ومنهجيته، والهدف منه .

المبحث الأول : وهو مبحث تعريفي تحت عنوان : " ابن صفى : حياته ومكانته الأدبية " وفيه تعريف بالكاتب، وبأعماله، ومكانته الأدبية .

المبحث الثاني : وجاء تحت عنوان " الديستوبيا في رواية : وبائى بيجان "، وفيه دراسة للمجتمع الديستوبي من خلال الرؤية الأدبية لابن صفى . وينقسم إلى :

أولاً : التعريف بالديستوبيا

ثانياً : ملخص الرواية

ثالثاً : تجليات مظاهر الديستوبيا في رواية " وبائى بيجان "

الخاتمة: وتشتمل على النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

الكلمات المفتاحية : ديستوبيا – يوتوبيا – المدينة الفاضلة – المدينة الفاسدة – الرواية الديستوبية .

المبحث الأول

ابن صفى : حياته ومكانته الأدبية

أسمه [أسرار أحمد]، وتخلصه [ابن صفى] . وُلد في ٢٦ من شهر يوليو عام ١٩٢٨م، في إله آباد بمقاطعة أترابراديش بالهند. عمل في بداية حياته مدرس في إحدى المدارس ببلدته، وفي عام ١٩٥٢م هاجر إلى كراتشي بعدما سبقه والده إليها أثناء تقسيم شبه القارة الهندية، وأسس داراً للنشر خاصة به تحت اسم " منشورات اسرار " وكان ابن صفى مثقفاً واسع الاطلاع على النواحي الجغرافية، والنفسية، والحضارية . وفي أواخر حياته في الفترة ما بين ١٩٦٠م إلى ١٩٦٣م أصيب بمرض الفصام، وتلقى علاجه بإحدى مصحات الطب النفسي، وبعدها تعافى بدأ رحلته في كتابة روايات الجاسوسية، فكتب مجموعتيه : سلسلة عمران " عمران سيريز " ودنيا الجاسوسية " جاسوسى دنيا " وقد نالتا شهرة واسعة، وحققتا مبيعات كثيرة، وفي السبعينات من القرن الماضي كانت المخبرات الباكستانية تستشيرهُ استشارات غير رسمية حول طرق التجسس، والتحري. وتوفى " ابن صفى " في ٢٦ يوليو ١٩٨٠ م بسرطان البنكرياس عن عمر يناهز ٥٢ عاماً، وتم دفنه في كراتشي . (٢)

حياته الأدبية :

بدأ ابن صفى الكتابة الأدبية في أربعينات القرن الماضي في الهند البريطانية، وبعد الاستقلال، وتقسيم شبه القارة الهندية هاجر إلى باكستان،

٢ - أنظر : ابن صفى ايك عهد، ايك رججان، ترتيب : انتظاميه دى گريث ابن صفى، طبع اول، جولائى ٢٠١٨ء، ص ٣١٢ . وأيضاً : ويكيبيديا ابن صفى .

وفي ١٩٤٨م كتب في مجال الأدب الفكاهي، والقصة القصيرة تحت أسماء مستعارة؛ حيث كتب ما يقرب من ثلاثمائة عمل أدبي ما بين روايات، وقصص، وأشعار، إلا أنه اشتهر بالرواية الجاسوسية التي كان لها النصيب الأكبر من كتاباته حيث بلغت ٢٥٠ رواية من مجمل أعماله الأدبية (٣)، وقد ذاع صيته بسبب كتاباته عن أدب الجريمة والجاسوسية، والتي تميزت بالغموض، والإثارة، والعنف، واشتهرت ليس في بلاد شبه القارة الهندية فحسب؛ بل في العديد من دول العالم التي تقطن بها الجاليات الهندية والباكستانية. كما عمل بالصحافة أيضاً حيث تولى رئاسة تحرير مجلة " نئے افق " الشهرية بكراتشي. (٤)

اعترض " ابن صفى " على كثير من الأمور في كتاباته التي كانت معظمها تدور حول حماية القانون، والقضاء على الجريمة، وعلى تعريب العقل الإسلامي، وكانت عقيدته هي إثبات سيادة القانون على المجتمع، وكان قد قال ذلك بنفسه: إن مهمتي هي جعل الناس يحترمون القانون. كما ناهض ابن صفى الجرائم العلمية التي انتشرت في البلاد

٣ - الرواية البوليسية، أو فيما يُعرف بالأردية " جاسوسى ناول"، وهي الرواية الأكثر شعبية في العصر الحديث لأن هذا النوع من الروايات تجتمع فيه الجريمة، وكل ما يتعلق بها من أحداث؛ لتكون قصة، والتي يكون التركيز فيها على موضوعها، وبنيتها، وليس لها علاقة بالموثرات العاطفية؛ حيث تخاطب فقط جزء من ذهن القارئ الذي يستمتع بجو المؤامرات، وحل الألغاز، وتظهر براعة الكاتب في قدرته على حل اللغز تدريجياً أمام القارئ، ويرى بعض النقاد، ومنهم " أحسن فاروقى " أن الرواية البوليسية تخلو من أي تنوع أدبي؛ وإنما تعتمد فقط على الإثارة.

- المرجع: باكستان مين اردو ناول، عبد الحق خان تحقيقي مقالہ برائے ڈی فل، جامعہ سندھ، جون ١٩٤٩ء، ص ٤٣٠-٤٣١.

وأيضاً: ناول کیا ہے؟ محمد احسن فاروقى (ڈاکٹر)، درد اکیڈمی، لاہور، ١٩٦٤ء، ص ٧٠

٤ - أنظر: ابن صفى زنده ہے، سيد مظفر سلطان بخارى (ڈاکٹر)، بار اول، اگست ١٩٨٠ء، ص ٢٧.

الديستوبيا في رواية "وباني بيجان" إثارة المرض للذئب ابن صفى

الإسلامية التي كان يدعوها لمناهضة الغرب، ومواجهة تأمراته، وهو في ذلك لم يتبن الأسلوب السياسي، أو الخطب الدينية؛ بل استخدم ملكته، وأدواته الأدبية . (٥) وكان يقول : في رأيي إن مجرد نشر الروايات البوليسية لا يكفي لنجاح هذه المهمة بل ينبغي تعليم القوانين، ونشرها على نطاق واسع؛ ولكن لم ينتبه الأكاديميون لهذا الأمر على الرغم من أهميته.(٦)) ويقصد بالقانون هنا كافة القوانين الوطنية والدولية، وذلك لأن فضاء رواياته البوليسية جميعها تدور في ضوء القضايا المحلية، وخلفياتها الدولية، كما كان متأثراً بشده بالجرائم التي تقوم بها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، وجرائم الحروب، والانحطاط الأخلاقي، وفساد المجتمعات.(٧)

وكانت أشهر مؤلفاته هي سلسلة [جاسوسي دنيا]، التي نالت شهرة واسعة، وهي تضم ١٢٥ كتاباً، وهناك أيضاً سلسلة [عمران سيريز] التي تشتمل على ١٢٠ كتاباً . وكان " ابن صفى " يبدع في خلق أماكن مثيرة لرواياته؛ فكانت مؤثرة جداً في وجدان القراء حتى أصبحت هذه الأماكن فيما بعد حقيقية؛ فنجد في المدن حول الهند وباكستان النوادي الليلية، والفنادق التي سميت على أسماء الأماكن الموجودة في روايات ابن صفى، ومن أشهرها – Dilkusha – Tip Top- Niagara Figaro – High Circle . وله أيضاً كتاب في على النفس البشري تحت عنوان "

٥ - ابن صفى زنده ہے، مرجع سابق ص ٤-٥ . وأيضاً : ابن صفى كون بے، مشتاق احمد قریشی، نیر اسد پریس، لاہور، بدون تاریخ، ص ١٠٠ .

٦ - 'آمد، مابى سه، نظریاتی ادعائیت کے خلاف کشادہ ذہنی رویوں کی دستاویز، جلد اول، اکتوبر تا ستمبر ٢٠١٢ء، ص ١٧٢.

٧ - أنظر : ابن صفى كا نیا رُخ، مشتاق احمد قریشی، علم و عرفان پبلشرز، طبع اول، مئی ٢٠١٧ء، ص ٧٦ .

آدمى كى جڑيس " آى : أصل الإنسان . وتم نشر الجزء الأول منه عام ١٩٧٩م، إلا أنه لم يستطع إتمامه بسبب تمكن المرض منه . (٨)

وكانت روايات " ابن صفى " التي تناولت موضوع التجسس قد ترجمت جميعها إلى اللغة الإنجليزية الأمر الذي يدل على مدى قبول أعماله الأدبية، وانتشارها . ومن بين أوائل الروايات المترجمة رواية " خوفناك كمره " أي الحجر المخيفة، ورواية " چٹانوں ميں فائر " : أي إطلاق النار على الصخور. والجدير بالذكر أنه في بداية كتاباته عن الجاسوسية كان يستعين بالروايات الإنجليزية؛ حيث كان يستمد منها أفكاره وشخصياته، حتى أن شخصيات " فريدي وحميد " كانت مقتبسة من روايات انجليزية إلا أنه بعدما تمرس في الكتابة عن الجاسوسية اعتمد على نفسه في خلق شخصياته، وموضوعات رواياته التي اتسم أسلوبها بالإيجاز، والبساطة؛ فكان يستخدم الألفاظ النثرية السهلة البسيطة التي يفهمها حتى البسطاء، والذين لم يحصلوا على قدر كاف من التعليم (٩) وعليه فقد تمتع ابن صفى بمكانة أدبية عالية، وقد ارتبط القراء بكتاباته بدرجة كبيرة جداً حتى أن الناقد الكبير " احتشام حسين " (١٠) كانت لديه مكتبة تضم كافة

٨ - ويكيبيديا ابن صفى .

٩ - ابن صفى اب انگریزی میں، عثمان قاضی، مشمولہ دنیا زاد، ستمبر ٢٠١٠ء . وأيضاً : ابن صفى، مشمولہ نیا رخ، ماہنامہ، اگست ١٩٨١ء، ص ٨٢.

١٠ - سيد احتشام حسين : أحد النقاد الكلاسيكيين، وُلد في عام ١٩١٢م في أترابرايش بالهند، وعمل محاضراً في جامعة لكهنؤ في عام ١٩٣٦م في تخصص اللغة الأردية، وهو من أدياء الحركة التقدمية، ومن ثم نجده متأثراً في نقده بالفكر الماركسي، ومن أشهر أعماله اردو ادب كى تنقيدى تاريخ، تنقيدى جائزے، تنقيدى نظريات، تنقيدى اور عملی تنقيد، ادب اور سماج، روايت اور بغاوت . وتوفي في ديسمبر عام ١٩٧٢م، ودُفن في اله آباد بالهند .

- أنظر : احتشام حسين : حيات وشخصيت اور كارنامے، فداء المصطفى فدوى، (ڈاكٲر)، شمی فائن ارٹس، ناگپور، سال اشاعت دسمبر ١٩٨٥ء، ص ٢٠، ٢٨.

الديستوبيا في رواية 'وباني بيجان' إثارة العرض للأديب ابن صفي

مؤلفات ابن صفي . وعلى الرغم من جدية، ورسالة كتاباته الجاسوسية إلا أنها لم تكن تخلو من المسحة الفكاهية . (١١) كما يجب أن نشير إلى أنه بسبب مهارته الأدبية حصل على " نجمة التميز " من الرئيس الباكستاني في عام ٢٠٢٠ م .

١١ - ابن صفي کے جاسوسی ناولوں میں طنز و مزاح، مناظر عاشق برگانوی، (ڈاکٹر)، ایجوکیشنل پبلشنگ ہاؤس،، دہلی، سنہ اشاعت ٢٠١٣ء، ص ٢٨ .

المبحث الثاني

الديستوبيا في رواية " وبائي هيجان " لابن صفى

المحور الأول : تعريف الديستوبيا :

أ- لغة : هي " المكان الخبيث " أو الخرب، أو الفاسد .
ب- اصطلاحاً : " الديستوبيا تعبر عن المجتمع الفاسد، والمخيف، الذي يسوده الانحطاط والفوضى، والتهيه، وفقدان قيمة الذات، مجتمع يحكمه الشر المطلق، ومن أبرز ملامحه التآمر، والقتل، والاستبداد، والقمع، والشمولية، والفقر، والمجاعة، وانتشار المرض بفعل الأوبئة، فهو عالم تعاني فيه الإنسانية من اللانسانية." (١٢) ومن ثم فهي تُعرف بأنها: " مفهوم فلسفي عكس فكرة اليوتوبيا، والديستوبيا هو المكان السيء الكئيب الذي فيه الفقر، والظلم، والمرض . وكمصطلح تستخدم الديستوبيا على وجه خاص بغية الإشارة إلى مجتمع وهمي موجود غالباً في بيئة مستقبلية سيئة، وتكون اتجاهاته، وغاياته متشائمة، ورهيبية " (١٣)، وعليه، فالديستوبيا هو مصطلح يعني بالمجتمعات التي تمتلئ بالغموض والشر، ويعيش فيها الناس تحت ظل حكومات طاغية مستبدة، أو تحت سطوة كيانات، أو دول خارجية طامعة، أو مهيمنة، ويعني أيضاً بمظاهر الدمار والخوف، وتشظي الذات،

١٢ - أنظر : الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجله فكر الثقافة، العدد : ٢٥، يونيو ٢٠١٩م، ص ٢٦.

١٣ - مشهديات الديستوبيا في رواية " جماليكة أرابيا "، أحلان بن الشيخ (دكتوراة)، مجلة دراسات أدبية، العدد السادس، يونيو ٢٠١٨م، ص ٦٥ .

والحروب، والفضى، واللائسانية، والكوارث المجتمعية التي تهدد الإنسان في الوقت الراهن، أو تتنبأ بما سيحدث له في المستقبل .

وقد استخدم مصطلح [الديستوبيا] لأول مرة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما ألقى جون ستيوارت (١٤) خطابه أمام البرلمان في عام ١٨٦٨م؛ حيث كان ينتقد سياسة الحكومة تجاه الأراضي الأيرلندية . (١٥)، إلا أن هذا النوع من السرد الروائي ظهر في أوائل القرن العشرين، وتبلورت سماته في أعقاب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، والتي خلفت ورائها العديد من التداعيات الثقافية، والاجتماعية، فضلاً عن الثورات الاشتراكية التي نشبت في أوروبا الشرقية، واستعداد الدول العظمى لخوض حرب عالمية ثانية، وأنداك كان قد عم الحزن والفساد، والدمار، والقتل أجزاء كبيرة من دول العالم .

وثمة شيء يميز الأدب الديستوبي وهو استطاعة أدبائه الذهاب بعيداً عن الواقع والوصول إلى عوالم مستقبلية مجهولة، ومظلمة، وكئيبة . كما

١٤ - جون ستيوارت مل (John Stuart Mill) : فيلسوف واقتصادي بريطاني، ولد في لندن عام 1806م، نشر أربع عشرة سنة العديد من المقالات والكتب، تناول فيها بالبحث قضايا فلسفية وسياسية واقتصادية، وطالب بحق التصويت للمرأة، وشارك في المناقشات حول المسألة الأيرلندية، وأبدى تعاطفاً مع السود في جامايكا، وانتقد الأحزاب، وأسمى المبادئ عنده هي حرية الفرد، والتنوع، والعدالة وصولاً إلى السعادة البشرية. توفي عام 1873م. وقد كان فيلسوفاً، واقتصادياً، وسياسياً، يُشار إليه عادةً باسم (جي إس ميل) أحد أكثر المفكرين تأثيراً في تاريخ الليبرالية، وقد ساهم على نطاق واسع في النظرية الاجتماعية، والنظرية السياسية، والاقتصاد السياسي . وأطلق عليه لقب " الفيلسوف الأكثر نفوذاً باللغة الإنجليزية في القرن التاسع عشر "، وقد برر مفهومه عن حرية الفرد في معارضة الدولة غير المحدودة، والرقابة الاجتماعية .

- أنظر : ويكيبيديا جون ستيوارت ميل .

١٥ - اليوتوبيا، ايمان تاور سارجنت، تحقيق: ضياء ورار، القاهرة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ط أولى، ٢٠١٦م، ص ٣٢ .

أنه يضع توقعات تتضح صحتها اليوم في العديد من المجتمعات . والأمر الآخر الذي يميز أدباء هذا الاتجاه السردى هو رفضهم للقوى السياسية الطاغية، والمستبدة، والمتلاعبة بمقدرات البشر، وسعيهم في كشف مخططاتهم، الأمر الذي ساعد على إنتاج أدباً روائياً تحول فيما بعد إلى أعمالاً سينمائية ناجحة نالت اهتمام المثقفين في كافة أرجاء العالم، وحركت مخيلة القارئ، وذهبت به إلى مدارات مخيفة، وشائكة .

وتذهب الديستوبيا في مدارها عبر السرد الروائي موضحة مدى قوة الهيمنة في النظام العالمي الجديد على إنسان العصر في ظل سيطرة رأس المال، والطفرة التقنية والتكنولوجية، ومن الطبيعي أن يتطور مفهوم الديستوبيا ومضامينه مع التطور العلمي، والخيال العلمي، أو من خلال أدب نهاية العالم (١٦) إلا أنه في كافة الأحوال ثمة شيء واحد يتجلى، وهو تراجع قيمة الإنسانية، وجعل الإنسان هدفاً للقهر، والاستلاب نتيجة

١٦ - (أدب نهاية العالم وما بعد نهاية العالم) بالإنجليزية : Apocalyptic and Post-Apocalyptic، ويمكن ترجمته إلى أدب القيامة أو أدب الكارثة، وما بعدها، هو فرع من الخيال العلمي يدور حول نهاية الحضارة بسبب وقوع كارثة شديدة مثل حرب نووية، أو جائحة، أو خطر خارجي، أو حكم إلهي، أو تغير المناخ، أو أي كارثة أخرى، ويركز على معاناة الناجين ونفسياتهم في وقت وقوع الحدث، أو في الفترة التالية للكارثة، حيث تكون الحضارة منسية أو تحولت إلى أسطورة، وتخفي التقنية أو قد تبقى منها أشياء قليلة. وكثيراً ما يتم الخلط بين هذا النوع من الخيال العلمي والنوع الذي يُطلق عليه "ديستوبيا". وقد اكتسب هذا النوع من الأعمال الأدبية شعبيةً بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أصبح عامة الناس على وعي بإمكانية تدمير العالم بالأسلحة النووية . ولكن أدبيات هذا الصنف ترجع إلى بدايات القرن التاسع عشر على الأقل. إضافة إلى ذلك، فهذا الصنف قد يشتمل على مجموعة من الآداب، والاستعارات، والتفسيرات تعود لألفيات مضت.
- المصدر : ويكيبيديا أدب نهاية العالم .

القمع السياسي، أو بسبب تحوله إلى فأر تجارب يجري عليه أصحاب السلطة، والنفوذ تجاربهم العلمية، أو الحربية. (١٧)

ومن ثم فالرواية الديستوبية هي رواية تنتبأ بدمار المجتمعات والتهديدات التي تُؤدي إلى نهاية الحياة على الكوكب سواء أكان ذلك في الوقت الراهن أو المستقبل . ويطلق عليها أحياناً رواية مناهضة اليوتوبيا (anti-utopian) . وكاتب مثل هذا النوع من الروايات يُدرك، ويعي حالة القلق، والخوف من المستقبل التي يعيشها مجتمعه؛ فيقوم بدوره كأديب؛ فيعمل على تسليط الضوء عليها ليحذر منها؛ وكذلك نلاحظ أن الأحداث الكارثية التي حدثت في الماضي، وما زالت تحدث في العالم مثل الحربين العالميتين الأولى والثانية (١٨) فضلاً عن التنبؤ بنشوب حرب عالمية ثالثة، وانتشار الأسلحة النووية والذرية التي من شأنها محو الحياة على

١٧ - موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، ت: خليل أحمد خليل، ج ٢، بيروت، عويدات، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٣٦١.

١٨ - في مطلع القرن العشرين وبسبب القهر الديموغرافي والنهب الشامل للأمم واغتصاب مواردها الوطنية التي كانت هي المصدر لربح الدول الإمبريالية ودعم اقتصادها كان العداء يتزايد بين الدول الأوروبية حيث تنافست كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا على التجارة وبسط النفوذ، بينما تجلت أطماع النمسا والمجر وروسيا في محاولة السيطرة على دول البلقان وأدى التوتر العسكري إلى وجود تحالفات عسكرية قوية كما ساعد سباق التسلح على زيادة التوتر الدولي.. في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م من القرن الماضي زعم البعض أن الحرب كانت قد انتهت إلى الأبد بعد ما حدث من دمار وخسائر بسبب الحرب وأن العالم المتحضر سوف لا يحتاج إلى شن حرب مستقبلية لتسوية خلافاته بعدما فشلت وسائل الحرب في حل النزاعات إلا أن نشوة الانتقام من بعض النظم الشمولية هي التي كانت سبباً في تمزيق العالم ودخوله حرباً عالمية جديدة فكانت الحرب العالمية الثانية في ١٩٣٩-١٩٤٥م .

- أنظر : دوسرى جنج عظيم، محمد مرزا دهلوى، كُتب خانة علم وادب، دہلی، طبع اول، مئی ١٩٤١م، ص ٤-٥.

أيضاً : دوسرى جنج عظيم اور ایشیائی قوموں پر اس کا اثر، ڈی ایفیموف، مترجم : نا معلوم، سوویت یونین ہند، دہلی، سن اشاعت ١٩٧٥ء، ص ٨ .

كوكب الأرض، وانتشار الأمراض والأوبئة مثل الكوليرا، أو سارس (١٩)، أو كوفيد ١٩ (٢٠)، والأزمات المجتمعية الضخمة جميعها أمور ساعدت على انتشار مثل هذا النوع من الروايات بشكل أكبر، حيث جعلت الديستوبيا، والنظرة السوداوية هي السمة الغالبة عليها. لأن كل هذه الأحداث المتواترة تستدعي مشاعر اليأس، والضيق لدى الأديب؛ فيخرجها في شكل سرد روائي في مواجهة الاستبداد، والقهر، واللامأل، وفكرة الديستوبيا لم تطفو على سطح الأدب الروائي نتيجة ظرف عارض بل جاءت على مدار عقود من الزمن مصاحبة لتمزق، وتشتت الوعي لدى المثقفين، والمفكرين، والمبدعين مهما كان مجال إبداعاتهم، ليعبروا عن الشعور بالخذلان بسبب تحول معاني الإنسانية إلى وحشية مادية ومعنوية، بل وغوغائية تنقلب فيها مفاهيم، وموازن المجتمعات، الأمر الذي يؤدي

١٩ - تعد متلازمة الالتهاب التنفسي الحاد (سارس) مرضًا تنفسيًا معديًا، وأحيانًا مميتًا . ظهر سارس لأول مرة في الصين في نوفمبر ٢٠٠٢م، وفي خلال بضعة أشهر انتشر في جميع أنحاء العالم محمولًا بواسطة مسافرين غير متوقعين . وأوضح سارس مدى إمكانية انتشار العدوى سريعًا في عالم مترابط، وسريع الحراك . وعلى الجانب الآخر، مكن الجهد التعاوني الدولي خبراء الصحة من احتواء انتشار المرض سريعًا . لم يكن هناك طريقة انتقال معروفة لمرض سارس في أي مكان في العالم منذ عام ٢٠٠٤ م .

- المرجع : www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/sars/

٢٠ - فيروسات كورونا هي عائلة من الفيروسات التي يمكنها أن تسبب أمراضًا مثل الزكام والالتهاب التنفسي الحاد (السارس) ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس). في عام ٢٠١٩م، أكتشف نوع جديد من فيروسات كورونا تسبب في تفشي مرض كان منشأه في الصين.

ويُعرّف الفيروس باسم فيروس المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة كورونا ٢ (سارس-كوف-٢)، ويسمى المرض الناتج عنه مرض فيروس كورونا المستجد ٢٠١٩ (كوفيد ١٩). في مارس ٢٠٢٠م، أعلنت منظمة الصحة العالمية أن فيروس كورونا (كوفيد ١٩) قد أصبح جائحة عالمية . وتعكف مجموعات الصحة العامة، ومن بينها مركز مكافحة الأمراض، والوقاية منها في الولايات المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية على متابعة جائحة كوفيد ١٩، ونشر آخر المستجدات على مواقعها عبر الإنترنت . كما أصدرت هذه المنظمات توصيات حول الوقاية من الفيروس المسبب للمرض وعلاجه.

- المرجع : <https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/coronavirus/>

بأدب الديستوبيا إلى السعي لابتكار عوالم افتراضية مشتقة من الواقع، وموازي له، ومن ثم تكن إمكانية التحقيق . (٢١)

وتتعدد تأثيرات الديستوبيا على الإنسان في كافة النواحي النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، وحتى البيئية، فالمجتمعات الديستوبية مرتبطة بشكل أو بآخر بالخيال العلمي المتعلق بكافة النواحي المعرفية المرتبطة بالمجتمع، والبيئة، والسياسة، والفلسفة، والدين، وعلم النفس، وعلى القيم الإنسانية، أو التكنولوجيا التي يمكن أن تتحول إلى واقع في المستقبل؛ ومن ثم اتخذت الديستوبيا شكل العديد من التكهّنات حول التلوث، والمجاعات التي ستسود العالم، والانهيّارات المجتمعية، والقمع السياسي، والحروب والدمار. وأكدت على أن الكتابة الروائية حالة ليست طارئة؛ ولكنها تستقي مفرداتها وأدواتها من التساؤلات، والإشكالات، والأزمات، والانفعالات التي تحيط بالأدباء فتكون بالنسبة لهم مرجعاً واقعياً، أو تخيلياً . حيث أن الاستفهامات التي تدور حول السرد الروائي تكون نابعة من تفاصيل الواقع المعيش، وما يتضمنه من أزمات وتحولات لها تأثيرها الكبير على الذات. (٢٢) وهذا ما يتضح جلياً في كتابات ابن صفي .

٢١ - مشهديات الديستوبيا، مرجع سابق ص ٦٥ .

٢٢ - المرجع السابق ص ٦٥ .

المحور الثاني : ملخص الرواية

في عام ١٩٥٨ م تم نشر رواية " وبائى بيجان " وهي تندرج تحت صنف الرواية القصيرة، أو النوفيل [ناولث] (٢٣)، وعدد صفحاتها ٨٤ صفحة من القطع الصغير. تدور أحداثها حول الأسلحة البيولوجية التي تعتمد على نشر الفيروسات، والجراثيم لقتل البشر من قبل القوى الدولية المستبدة منتهكة بذلك كل قوانين الإنسانية، وتشير الرواية إلى أن المستهدف هو دول العالم الثالث الأسيوية التي لا تستطيع مواجهة مثل هذه القوى الشمولية . (٢٤) وفي روايتنا يخبرنا " ابن صفى " بأن هناك نوع من البكتيريا كان قد تم نشره بين أهل المدينة سراً عن طريق تلويث مياه الآبار، والخزانات بإلقاء الكلاب الميتة فيها لتتفاعل مع نوع مصطنع من البكتيريا؛ فيتولد الوباء، وقد تم إرسال البعثات الطبية من أجل البحث، وتقصي سبب تكاثر البكتيريا التي أدت إلى انتشار وباء أصاب الناس بالاكتئاب والجنون؛ الأمر الذي جعلهم يهربون من منازلهم مهولين في الشوارع، ويسقطون قتلى على الطرقات مصطدمين بالسيارات، والحافلات، فانتشرت الفوضى في المدينة، وتوقفت الحياة، ومجرياتهما،

٢٣ - يحدث خلط بين الرواية والرواية القصيرة (النوفيل) التي اشتق اسمها من لفظ novella الإيطالية . وكانت بدايات النوفيل في الأدب الأردني في بدايات القرن العشرين وهذا النوع من الأدب لم تتم مناقشته تفصيلاً مثل باقى الصنوف القصصية . والرواية القصيرة تتميز عن الرواية بأنها أقل في عدد صفحاتها فهي أطول من القصة وأقصر من الرواية حيث يتراوح عدد صفحاتها ما بين ٦٠ إلى ١٠٠ صفحة ومن ثم فإن نطاقها محدود، وهناك العديد من الأدباء لا يعتبرونها صنف أدبي مستقل بذاته بل يتعاملون معها من منطلق أنها رواية .

- أنظر : اردو ناولث : بيثت، اساليب اور رجحانات، سيد وضاحت حسين رضوى، گولہ گنج، لکھنؤ، ٢٠١٤ء، ص ٣٠-٣١. وأيضاً : اردو ناولث کا مطالعہ، صديق محى الدين، يونورسٹی آف حيدرآباد، ١٩٨٩ء، ص ٩٧.

٢٤ - أنظر : ابن صفى كا ناول " وبائى بيجان " اور كورونا وائرس، حميرا عاليه، ماہنامہ اردو دنيا، نئی دہلی، شمارہ منى ٢٠٢٠ء، ص ٢ .

الديستوبيا في رواية "وبائى بيجان" إثارة المرض للذئب ابن صفى

وهرب موظفو الحكومة، والقيادات الكبيرة، كما فشلت البعثات الطبية في الوصول إلى مسببات المرض، ومن ثم صعب التوصل إلى اكتشاف العلاج المناسب، وفي النهاية تم اكتشاف المؤامرة المدبرة من إحدى الدول الكبرى التي أرادت كما ذكر " ابن صفى " أن تستخدم الدول الآسيوية كأداة للتعامل مع منافسيها .

المحور الثالث: تجليات مظاهر الديستوبيا في رواية " وبائى بيجان "

يقدم ابن صفى روايته حول الديستوبيا عبر إثارة وضع عالمي تستخدم فيه دول ومنظمات دولية الوباء كسلاح حرب استطاع الكاتب أن يكشف من خلاله عن معطيات وتداعيات اجتماعية، وفكرية، وسياسية كشفت عن واقع سوداوي أصاب إحدى المدن الآسيوية التي لم يكشف عنها من خلال السرد مستنداً في ذلك إلى التحليل، والتأويل في بعض الأحيان . حيث أقام " ابن صفى " فكرة الديستوبيا في الرواية حول موضوع انتشار الوباء، والموت، وهجرة الناس لمنازلهم، وللمدينة، والتأمر، وهروب القادة، وانتشار الفوضى التي هي أهم ملامح الديستوبيا، وأشدّها خطراً على المجتمعات . وبالنظر إلى سرد الرواية يتضح انحدار الفكر الديستوبي من عدة محاور هي :

أولاً : عتبة العنوان

إن عنوان أي عمل أدبي من الأركان الهامة والمؤثرة في السرد الأدبي بشكل عام، ومن الأمور التي يجب الوقوف عندها حال دراسة

الأعمال الأدبية؛ " حيث أن اختيار الأديب للعنوان لا يأتي عفواً؛ بل عن قصد فالعنوان عند السيميائيين يشكل سؤالاً إشكالياً، بينما النص هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال، وهو أول المؤشرات التي تدفع بالقارئ إلى حالة من الفضول المعرفي حول النص؛ فيثير رغبته في الإقبال عليه، وقراءته، أو النفور منه، واستهجانه " (٢٥)

وعنوان روايتنا محل الدراسة هو " وبائي بيجان " أي انتشار الوباء، وقد جاء في صيغة تثير انتباه، وفضول القارئ، وتسنفز خياله بالعديد من الاستفهامات عن ماهية هذا الوباء؟ وكيف انتشر؟، وما أو من الذي ساعد على انتشاره؟ وكما هو واضح فإن العنوان يدل على رؤية ديستوبية سوداوية، وتشاؤمية لابن صفي، خاصة وإنه كان قد كتب هذه الرواية في عام ١٩٥٨م، وهي فترة الحكم العسكري للجنرال محمد أيوب خان (٢٦) التي اتسمت بكثرة المؤامرات، والاستبداد .

ثانياً : وصف المكان الديستوبي

" يتعين المكان بوصفه معطى بصري يترسم الحدود باعتباره عنصراً ثابتاً، ومحسوساً، يسهل له ثباته القابلية للإدراك من طرف كائن

٢٥ - أنظر : السيموطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، عدد: ٣، ١٩٩٧م، ص ١٠٨.

٢٦ - تولى الجنرال محمد أيوب خان الحكم في عام ١٩٥٨م ومع بدايه حكمه عمل بشكل قسري على فرض الأحكام العرفية، وذلك بعدما كان قد استفاد من النظام الديمقراطي الأسبق في انتخابه رئيساً لباكستان بعد الانقلاب العسكري الذي قام به في البلاد، وبعد انقسام دولة باكستان الوليدة إلى دولتين (البنجاب وبنجلاديش) سلم حكم البلاد للجيش الباكستاني، ونتيجة لحكمه الذي اتسم بالقسوة والديكتاتورية عمت المظاهرات أنحاء البلاد فاستقال في عام ١٩٦٩م .
- أنظر : باكستان ميين مقامى حكومتى نظام، فضل ربي منزه مبارك (دكتور)، نيشنل يونيورسٹی آف مائٹرن لينگويجز، اسلام آباد، ٢٠١٧م، ص ١٤. أنظر أيضاً : باكستان ميين فوجى حكومتين : ايوب خان سے پرويز مشرف تک، شاہد پبلى كيشنز، لاہور ٢٠١٠م، ص ٣٢-٣٣.

الديستوبيا في رواية 'وباني بيجان' إثارة المرض للذئب ابن صفى

مستقر، أو متحرك، وفي العلاقة المتواصلة بهذا الثابت مع الشخصيات التي تخترقه بكل ما تحمله من أفكار، وانفعالات، مؤثراً فيها، ومتأثراً بها. لأن المكان لا يُرى كم تفاصيله إلا عبر انفعال الذات بتفاسيمه، وانفعالها بلحظات الفرح والبؤس في سياقه ... وفي مساهمته الفعالة في نمو الأحداث، وديمومتها؛ لأن التشكيلات المكانية المختلفة تسهم في تكوين انطباعات محددة، والإيحاء بتوتر حدثي ما " (٢٧)) ويعتبر المكان أحد الدعائم الأساسية في العمل الروائي فهو الساحة التي تجرى فيها الوقائع والأحداث . وقد وصف " ابن صفى " المكان الديستوبي في الرواية غير متعافلاً للجانب النفسي له؛ وعكس البناء الديموغرافي إلى جانب الخلفيات الثقافية له، وللبيئة المحيطة التي تحولت إلى ديستوبيا في ظل كيانات استعمارية تحاول إحكام قبضتها، وفرض سطوتها، وقوانينها على دول العالم الثالث؛ فصارت تُنبئ بتداعيات مستقبلية تتسم بالفوضى والتشطي، وكشف " ابن صفى " عن روى أيديولوجية، وسياسية استعمارية عكس من خلالها عن مدى التشوه الديموغرافي الذي ألم بالإنسان في المدينة بفعل التآمر، وانتشار الوباء، والتي كان قد اختارها " ابن صفى " دون القرية؛ لأن الصدام بمعطياتها ووقوعها أشد وطأة، وأكثر قسوة، فيقول على لسان الشخصية :

بعد يومين أو ثلاثة أيام وقعت بعض حوادث المرور التي أثارت ضجة كبيرة

في المدينة بأكملها ، وهكذا، ركض بعض الأشخاص على ممرات المشاة، ودهستهم

٢٧ - صورة الأمكنة الديستوبية في الرواية الجزائرية، كريمة نواديرية، مجلة قراءات، المركز الجامعي، ميله، الجزائر، مج: ١٤، العدد ١، سنة ٢٠٢٢م، ص ١٥٣.

الحافلات والتزام، والسيارات، وهم فاقدون للوعي، ثم ورد من المدينة القديمة أن ما يقرب من نصف السكان هناك وقعوا ضحية الاكبتاب، والجنون، والوهم؛ فهرب الناس مهولين من منازلهم في وقت متأخر من الليل، كما أصيب الكثير منهم بجروح إثر الارتطام بالجدران، وبجذوع الأشجار، وكان سكان الطوابق العليا من المنازل يندفعون مسرعين إلى الأرض، فيسقطهم تهورهم دون أن تؤذي أقدامهم، وهكذا فقد كثير من الناس حياتهم. (۲۸)

والفقرة توضح سلوك الإنسان حينما يتعرض لكارثة أو فاجعة ما مثل الوباء، وكيفية تعامله مع معطياتها، وسعيه في النجاة بنفسه من الهلاك، وتكشف الفقرة عما يسمى بأدب الأوبئة (۲۹) الذي يسعى إلى

۲۸ - پھر دو تین دن بعد ٹریفک کے کچھ ایسے حادثات ہوئے جن سے سارے شہر میں سنسنی پھیل گئی۔ اس طرح کچھ لوگ فٹ پاتھوں پر چلتے چلتے بھڑک کر بھاگے تھے اور بد حواسی میں بسوں، ٹراموں اور کاروں کی زد میں آکر ختم ہو گئے تھے۔ پھر پرانے شہر سے اطلاع ملی کہ وہاں کی تقریباً نصف آبادی وہم اور مالیخولیا کا شکار ہو گئی ہے۔ لوگ رات گئے گھروں سے نکل کر بھاگتے ہیں۔ اکثر دیواروں اور درختوں کے تنوں سے ٹکرا کر زخمی بھی ہوئے تھے۔ مکانوں کی اوپری منزلوں پر رہنے والے بے تحاشہ دوڑتے ہوئے زمینوں پر آئے اور ان کی بوکھلاہٹ پیروں کو تکلیف دینے بغیر ہی نیچے لے آئی۔ اس طرح کئی آدمی زندگی ہی سے ہاتھ دھو بیٹھے تھے۔
ص ۵۴

۲۹ - انتشرت الروایات حول الفيروسات والأوبئة على نطاق واسع خلال القرنين الماضيين، وهناك عدد كبير من الأمثلة مثل رواية "الطاعون" لألبير کامو، و "الحب في زمن الكوليرا" لغابرییل غارسیا مارکیز. وقد ازدادت شعبية هذه الروایات المهووسة بالأوبئة الفتاكة منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين، في فترة تأجج المخاوف من نهاية العالم بسبب احتمال نشوب حرب نووية بين القوتين العظمتين. وعامة، موضوع هذه الروایات حول الأوبئة التي قد تهدد البشرية، إما عن انتشار مرض غير معروف في الماضي، أو عن أحداث تعقب تفشيه، وقد يأتي المرض إما من فيروسات متحولة، أو متطورة من مرض معروف، أو من فيروسات أنشأها العلماء (عمداً أو عن طريق الخطأ)، لكن في أغلب الأحيان لا يتم تحديد مصدر، أو منشأ المرض، ما يمنح الحكمة مزيداً من الغموض.

- أنظر: كيف تناول الأدب موضوع الأوبئة (مقال)، نجيب مبارك، بتاريخ ۷ مارس ۲۰۲۰ م .
<https://www.mda-press.net/news>

الديستوبيا في رواية "وباني بيجان" إثارة المرض للأديب ابن صفدي

تصوير العديد من الجوانب المجتمعية " حيث يكشف الوباء عن العلاقات الإنسانية، والاجتماعية، وقد اتخذ صفة إله الشر في اليونانية القديمة، فهو يُجبر الناس إلى أن يتحصنوا؛ فربما يكون الحصن الأخير لهم، ويدفعهم كذلك إلى بعض الأفعال الدنيئة التي تخرج من قيعان المدن المصابة، فيُخرج أسوأ ما فيها من طباع البشر، ويصبح البحث عن مدينة فاضلة في ظل الوباء، والظلم معاً [من الأمور المستحيلة] " (٢٠)

ونشعر خلال السرد بشخصية الكاتب وهو يحاول تدعيم رؤيته، ووجهة نظره؛ فلم يكتف بعرض الوقائع المتواترة والمتسارعة؛ بل عمل على مشاركة القارئ لرأيه، والتأكيد على صحة منظوره حتى تترسخ أبعاد الديستوبيا من خلال المردود الدرامي لتداعيات نشر الوباء، والفوضى التي خلفتها في المكان (المدينة القديمة وشوارعها) حيث أبرز الموت في صورتيه الحقيقية، والمعنوية؛ فتمثل الموت المعنوي في موت ضمير هؤلاء الخونة المأجورين الذين نشروا الوباء، وعلى الجانب الآخر كان موت الأمل في محاولة التطلع إلى حياة أفضل . وأما الموت الحقيقي فتمثل في جثث الأموات المنتشرة على طرقات المدينة الذين فقدوا حياتهم كما يتضح من الفقرة التي يبدو من بين سطورها تراجع قيمة الإنسان الذي يشعر بضياح ذاته، ويفقده لقيمتها .

٢٠ - ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية، محروس القلبي (دكتور)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، مج ١٣، ع:١، يناير ٢٠٢١ م .

ثالثاً : تبني فكرة التآمر

إن الوباء في الرواية عند " ابن صفى " لم يكن ذلك الذي يبدو على المستوى الظاهري أنه بسبب بكتيريا عضوية انتشرت، وتسببت في حدوثه؛ بل كان ذلك الرمز الذي يترسخ في وعيه حول الحرب البيولوجية (٣١) والمؤامرات الخارجية التي تُحاك للإيقاع بدول ما، والجدير بالذكر أن أدباء هذا النوع من الأدب يتخذ من نظرية المؤامرة مجالاً لتفسير الأحداث المتصارعة والمتضاربة، وخاصة الأمنية منها سواء كانت داخلية أو خارجية، والتي يكتنفها الإبهام، والشك، والغموض من أجل تبرير الأحداث التي لم يستطيعوا إيجاد تفسيراً لها، وهذا النهج تزايد منذ بداية القرن الحادي والعشرون لدى كتّاب الرواية الديستوبية ؛ وعليه يصبح اعتماد نظرية المؤامرة هي السبيل الأيسر بالنسبة لهم . ويتضح ذلك في الفقرة التالية حيث تقول الشخصية :

أنظر ! تؤثر مسببات الأمراض المعدية على جهاز المناعة لدينا من خلال

وسائل مختلفة، إما أنها موجودة في الغلاف الجوي؛ فتدخل جسمنا مع الهواء، أو أنها

٣١ - الحرب البيولوجية أمر تخشاه كافة الدول؛ لصعوبة السيطرة على الميكروبات؛ فهي لا تفرق بين العدو والصديق، ولا تلتزم بالحدود السياسية، واستخدامها من قبل أي دولة مخاطرة، ومجازفة؛ لأن الميكروب المستخدم قد يعود للإنتشار في نفس الدولة، أو في دولة صديقة، بل وتتخوف الدول من سوء استخدام الأسلحة البيولوجية في داخل الدولة نفسها لو وقع في يد أطراف النزاع الداخلية؛ ولذلك وقعت أغلب الدول على إيقاف تطوير هذا النوع من الأسلحة، ولكنها لا زالت تتوجس عند ظهور الأوبئة من احتمالية الأخطاء العلمية والمعملية، فتبادر المراكز البحثية المتخصصة إلى دراسة الميكروب، كما حدث في وباء " كورونا " وثبت أن الفيروس لا يمكن أن يكون مصنوعاً، فالذي بادر إلى الاعتقاد بأن الوباء أول ظهوره كان مؤامرة أمريكية لضرب اقتصاد الصين، أو كان صناعة صينية لبيع اللقاح والأدوية : يحتاج إلى معرفة المزيد عن الحرب البيولوجية من كتابات المتخصصين لا من مقالات أنصار المؤامرة .

- المصدر : هل الوباء مؤامرة، محمد بن عبد الرحمن العمر (دكتور)، موقع الدرر السنية ، ص ١٠ .

موجودة في الماء الذي نشربه، أو أنها تدخل أجسامنا عن طريق الحشرات . قد بحثنا

في جميع المصادر، ولكن لم نتمكن من العثور على أي نوع جديد من البكتيريا . (٣٢)

وفي موضع ثاني يقول :

كان مرض حميد غريباً، رآه أفضل الأطباء في المدينة؛ لكنهم لم يتمكنوا من

التوصل إلى أي استنتاج بشأن المرض ... المعامل الطبية الكبيرة مفتوحة ليلاً ونهاراً،

ولكن لم يتم العثور على وسيلة للقضاء عليه، ولم تكن أسبابه مفهومة . (٣٣)

ونلاحظ أن الكاتب يشير إلى عدم القدرة على معرفة أسباب انتشار

الوباء على الرغم من أن المعامل الطبية تبحث ليل نهار حول هذا الأمر،

وذلك إمعاناً منه في الدلالة على حالة التيه، والعجز التي تنتاب الإنسان

حين يفقد القدرة على تفسير مثل هذه الظواهر؛ فيذهب بعقله إلى مدارات

تؤدي به في النهاية إلى الاستناد إلى نظرية المؤامرة، ومن ثم وظف " ابن

صفي " الوباء لغاية أدبية سعى من خلالها إلى تصوير واقع مجتمعي

مجحف بفعل التآمر، والرغبة في الاختراق، والتحكم بمقدرات الدول ،

٣٢ - " ديكهنه ! وبائي امراض كے جراثيم مختلف ذرائع سے ہمارے سٹم پر اثر انداز ہوتے ہیں۔ با تو وہ فضا میں موجود ہوتے ہیں اور ہوا کے ساتھ ہمارے جسم میں پہنچتے ہیں یا اس پانی میں ان کا وجود ہوتا ہے جسے ہم پیتے ہیں یا پھر کیڑوں مکوڑوں کے ذریعے وہ ہمارے جسم میں داخل ہوتے ہیں۔ ہم نے سارے ذرائع چھان مارے لیکن ہمیں نئے قسم کے جراثیم کہیں بھی نہ ملے . " ص ٧٦ .

٣٣ - " حامد کی بیماری عجیب تھی، اور اسے شہر کے بہترین ڈاکٹروں نے دیکھا تھا۔ لیکن وہ اس بیماری کے بارے میں کسی نتیجے پر نہیں پہنچ سکے... بڑی بڑی طبی تجربہ گاہیں دن رات کھلی رہتیں۔ لیکن اسے ختم کرنے کا کوئی مستقل ذریعہ ہاتھ نہ آتا اور نہ اس کے اسباب ہی سمجھ میں آتے۔ " الروایہ ص ٥٨ .

والتلاعب بشعوب العالم الثالث، والفقرة التالية توضح ذلك حيث تقول الشخصية :

وأخيراً، في ذات يوم تنهد فريدي، وقال : هذه قصة وقاحة الإنسان حيث أنه من الصعب تقدير المدى الذي يمكن أن يسقط فيه . إن الدافع وراء هذه الجريمة من الصعب تصديقه، فالقوى العظمى في العالم تقاتل بعضها البعض من أجل السيطرة، ومن الصعب تقدير مدى سمية شعاراتهم الصاخبة، التي تعلي من قيمة الإنسانية. وهذه هي قصة إحدى الدول التي تحاول الوقوف على جثة آسيا للتعامل مع منافسها، ولكن على الأقل بقي شعبنا في حالة من الاشمئزاز منهم، لذلك كان من الضروري من أجل كسب تعاطفه العمل على علاجه عن طريق نشر وباء لا يمكن تشخيصه هنا... وانتشرت الأوبئة وبدأت تتوافد البعثات الطبية الأجنبية، كما حضر وفد طبي أيضاً من الدولة التي نشر عملاؤها الوباء. (٣٤)

٣٤ - " آخر ایک دن فریدی نے ٹھنڈی سانس لے کر کہا۔ " یہ آدمی کے چھچھورے پن کی کہانی ہے۔ آدمی کتنا گر سکتا ہے اس کا اندازہ کرنا بہت مشکل ہے اس کیس میں جرم کی وجہ ایسی ہے کہ شاید ہی کسی کو اس پر یقین آئے۔ مگر دنیا کی وہ بڑی طاقتیں جو اپنے اقتدار کے لئے آپس میں رسہ کشی کر رہی ہیں۔ اس سے بھی زیادہ گر سکتی ہیں۔ ان کے بلند بانگ نعرے جو انسانیت کا بول بالا کرنے والے کہلاتے ہیں کتنے زہر آلود ہیں اس کا اندازہ مشکل ہے۔ یہ ایسے ہی ایک ملک کی کہانی ہے، جو اپنے حریف سے نپٹنے کے لئے ایشیاء کی لاش پر کھڑے ہونے کی کوشش کر رہا ہے مگر کم از کم ہمارے ملک کے عوام اس سے بیزار ہی رہے ہیں، لہذا ان کی ہمدردیاں حاصل کرنے کے لئے یہ ضروری سمجھا گیا کہ یہاں ایک ناقابل فہم قسم کی وبا پھیلا کر اس کا علاج کیا جائے وبا پھیلی اور غیر ملکی طبی مشن آنے لگے۔ اس ملک کا وفد بھی آیا جس کے ایجنٹوں نے یہ وبا پھیلانی تھی " ص ۸۷.

ويقدم " ابن صفى " صورة نمطية عن القوى الدولية المستبدة، والكيانات التابعة لها، وأثرها في نشر الفوضى، والدمار في البلدان، ولا تُحيل ذلك لسبب سرده الذي يطرح كارثة تفشي الوباء، وإنما بسبب سعيه للتأكيد على الصورة النمطية الإنثربولوجية الراسخة في أذهان المجتمعات الشرقية الآسيوية، وغير الآسيوية تجاه القوى الغربية الاستعمارية " كقوة قادرة على تدمير البشر؛ ومن ثم يمكن للفيروسات أن تكون بمثابة رموز للسياسات التكنولوجية، والبيولوجية القمعية، وكذلك اللامسئولية المؤسسية العسكرية، والعلمية " (٣٥)

كما استطاع ابن صفى رصد الأوضاع الاجتماعية السائدة في المدينة، وعلاقتها بالسياسات، والقوى الدولية المستبدة، وكشف مؤامراتها؛ فيقول على لسان الشخصية :

سيد حميد، فكر بنفسك، أنه لو لم تظهر وصفة الدكتور جوهان، لكان وفد " برونو " ناجحاً في جهوده وفي شعبنا الذي وجد أن لديه آراء ضد بلاده ... مهلاً، هذه القوى العظمى تركز أيضاً على آسيا؛ ففي مكان ما يتم توزيع الجيوب، في مكان آخر يتم توزيع الملابس، كما يتم توزيع الأدوية المجانية في مكان ما بكميات ضخمة لإنهاء الوباء؛ حيث لا تكون هناك حاجة لكل هذه الأشياء، فيتم إصطناع الاحتياج إليها . وهذه هي الطريقة التي كنا قد اعتمدناها هنا؛ حيث يتم إنشاء المجاعات الاصطناعية، وتهاجم الضغوط الاصطناعية بلدات بأكملها، ثم يأتي هؤلاء الملائكة، وتمسح دموعنا،

٣٥ - أنظر : دراسة مقارنة للديستوبيا في الأدب العربي والفرنسي، أحمد رضا صاعدي و هدى موسى، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٠، العدد: ٢، ديسمبر ٢٠٢٢، ص ٨٤ .

ویفوزون بدعواتنا وصلواتنا . یا لها من دناءة نفس . فقط فکر فی الأمر ... هل
یستحقون حتی أن یلتمون إلی الکلاب؟ (۳۶)

والکاتب فی طرحه لم یحدد فترة زمنية معينة، أو مدینة بذاتها فقط
أشار إلی أنها تقع فی إحدى الدول الآسیویة . وهو بذلك یعکس حالة
الصراع داخل المجتمعات التي وجدت نفسها محاطة بعالم تسوده المکاند،
فیحاول أن یسلط الضوء علی الأمور التي من شأنها أن تساعد فی البحث
عن مخرج من کل هذه الدوائر، والأزمات فی الوقت الذي أصبحت فیه
تشکل إلی جانب القضايا الأمنية والسیاسیة أحد المحاور الفکریة الهامة فی
مجال الأدب الروائي بشكل عام، والذي تفوق فی طرح الأزمات والقضايا
المتعلقة بالنواحي الأیدیولوجیة، والمجتمعیة، من خلال نقدها، والعمل علی
إعادة النظر من أجل استشراف الحلول الممكنة .

ویرى البعض أن أهم مميزات الروایة الیدیستویبیة هو عرض، وتحلیل
الواقع الذي یتسم بالفوضاویة باعتمادها علی النقد غیر المباشر من أجل
البحث عن مستقبل یوتیوبی أفضل، إلا أن هذا الرأي فی بعض الأحيان

۳۶ - حمید صاحب تم خود سوچو کہ اگر درمیان میں ڈاکٹر گوین والا نسخہ نہ نکل پڑتا تو
برونو ہی کا وفد کامیاب ہوتا۔ اپنی کوششوں میں اور ہمارے عوام میں جو اس کے ملک
کے خلاف میرے خیالات پائے جاتے تھے۔ کیا وہ برقرار رہتے ارے یہ بڑی طاقتیں
اسی طرح تو ایشیا پر سکھ جما رہی ہیں۔ کہیں غلہ تقسیم ہو رہا ہے کہیں کپڑے بانٹے
جارہے ہیں اور کہیں کسی وباء کا خاتمہ کرنے کے لئے مفت دوائیں بھاری مقدار میں
تقسیم کی جارہی ہیں، جہاں ان چیزوں کی ضرورت نہیں ہوتی، وہاں بھی ضرورت پیدا کر
لی جاتی ہے۔ طریقہ یہی ہوتا ہے جو ہمارے یہاں اختیار کیا گیا تھا۔ مصنوعی قحط پیدا
کئے جاتے ہیں۔ مصنوعی دبائیں پوری پوری بستیوں پر دھاوا بول دیتی ہیں اور پھر یہ
فرشتے آکر ہمارے آنسو بھی پونچھتے ہیں، اور ہماری دعائیں بھی لے جاتے ہیں۔ کتنا
کمینہ ہے آدمی نرا سوچو تو کیا وہ کتوں کے ساتھ بھی بانڈھے جانے کے لائق
ہے؟ ص ۸۹.

يكن غير صحيح، ومن الممكن أن تأتي النتائج عكسية حيث أن البنية الديسوبية في السرد الروائي، من شأنها أن تحيل إدراك، ورؤية القارئ إلى النظر بمنظور سوداوي؛ حيث لا أمل في مستقبل أفضل، وذلك بسبب ترسيخ فعل التآمر على نشر الفوضى والوباء، أو بتعبير أدق بسبب ظلم، وقهر الإنسان، وطغيانه الذي طمس على عقله، وجعله لا يدرك حقيقة كون مصير الإنسانية جمعاء في قارب واحد .

وفي موضع آخر يصف ابن صفى على لسان الشخصية طبيعة البكتيريا المسببة للوباء حيث يقول :

ظهرت جزيئات ذات لون برتقالي، ولكنها كانت غير متحركة، وهنا يبدأ عملنا، فالملح ليس مجرد سم قاتل لهم فحسب، بل يغير رحمتهم أيضًا، ومن ثم لا يمكن رؤيتها تحت المجهر قبل أن يتغير لونها، وهذا يعني أنه لا يمكنك رؤيتها (البكتيريا) إلا عندما تموت؛ فإذا كانت على قيد الحياة، فلا يمكن رؤيتها حتى مع أقوى مجهر في العالم . (٣٧)

وتوضح الفقرة أنه في الوقت الذي تم الإعلان فيه عن تصاعد وتفشي الوباء في المدينة، اتجه العلماء البيولوجيين للبحث عن سبب انتشاره، وطبيعته، وتزايدت مشاعر الحيرة؛ لأن هذا النوع من البكتيريا المسببة للوباء لا يمكن رؤيته في حالته الحية، وإنما كما ذكرت الفقرة بعد تغيير حالته أي بعد موت البكتيريا نفسها، الأمر الذي يزيد، ويصعد من

^{٣٧} - نارنجی رنگ کے ذرات سے نظر آنے لگے لیکن یہ غیر متحرک تھے۔ بس پھر یہیں سے ہمارے کام کا آغاز ہو نمک نہ صرف ان کے لئے سم قاتل ہے بلکہ ان کی رحمت بھی تبدیل کر دیتا ہے۔ رنگت تبدیل ہونے سے قبل انہیں خورد بین سے بھی نہیں دیکھا جا سکتا۔ یعنی آپ انہیں صرف مردہ حالت میں دیکھ سکتے ہیں۔ اگر یہ زندہ ہوں تو دنیا کی طاقتور ترین خورد بین سے بھی نہیں دیکھے جاسکتے۔ " ص ٧٧ .

خطورة الموقف، وينمي إحساس الريبة والقلق لدى العلماء، وأفراد المجتمع أيضاً؛ حيث أن هذا الوضع يشير الى استمرار انتشار الوباء، وينهى أي أمل في القضاء عليه حتى مع وجود اللقاح، الأمر الذي عاد معه الحديث عن شركات الأدوية المنتجة للقاحات، والتي أعلنت كل منها نجاحها في التوصل إلى لقاحات تجعلها قادرة على مواجهة الوباء الجديد، وهو ما يعيد الشك حول مدى الاستفادة التي تحققها هذه الشركات من استمرار الأوبئة . و" ابن صفي " هنا يشكك، ويرتاب من فكرة التقدم العلمي والتكنولوجي، وأهميته الاجتماعية .

" وهناك آراء تشير إلى أن فكرة المؤامرة ترجع إلى أسباب نفسية، ومعرفية، وشخصية؛ فبعض الأشخاص يعتقدون فكرة المؤامرة عند شعورهم بالقلق، أو قلة الحيلة، أو بسبب شعورهم بالتهميش، وبُعدهم عن مواقع التأثير لذا تظهر دعوى أن الوباء واللقاحات مؤامرة لدى الأفراد والجماعات الأقل سيطرة اقتصادياً، وسياسياً، والاعتقاد بفكرة المؤامرة في هذه الحالة يخدم كوسيلة دفاعية نفسية عند شعور الفرد بالعجز؛ فيتهم القوى المسيطرة بالمؤامرة، ليمنح نفسه شعوراً بالرضا ، ولكن الدراسات بينت أن الأثر عكسي؛ فبدلاً من شعوره بالرضا يصبح أكثر قلقاً، وأقل تفاعلاً مع الأحداث؛ لأنه يراها مدبرة، ولا يملك تغييرها، أو مقاومتها " (٣٨)

ومما سبق يتضح أن " ابن صفي " قد وصف الديستوبيا بأنها ذلك المجتمع الذي تحكمه الشرور، والتأمّرات، والأخلاقيات الفاسدة، والنتيه، والتلوث البيئي، والانحدار القيمي، والجرائم، والمجاعات، والأوبئة،

٣٨ - هل الوباء مؤامرة، مرجع سابق، ص ١-٢.

والتحكم في مصائر المجتمعات المسالمة، من قبل منظمات وكيانات إرهابية، وقوى وحكومات مستبدة متسلطة، تحتكم بقوانين الغاب، ومستندة إلى تقنيات تكنولوجية متطورة علمياً .

رابعاً : التبئير الداخلي internal focalization

يُعرف التبئير بأنه المنظور السردى الذي ينظم مسار الحكى، وهو ينحصر في حدود وجهة نظر السارد التي تكون بؤرة الإدراك لديه واسعة المدى أو غير محدودة، فنجد على دراية بدقائق التفاصيل المحيطة بالحدث، وتكون الرؤية فيه قاصرة على الشخصية، وتعبر عن وجهة نظرها، كما تكون معرفة الراوي هنا بنفس قدر معرفة ووعي الشخصية بالتفاصيل الحكائية؛ فلا يقدم لنا معلومة، أو تفسيراً إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها على دراية بها . ويتمثل التبئير الداخلي في ثنايا الخطاب السردى الحر غير المباشر، ويصل إلى أقصى مداه في المنولوج الداخلي (^{٣٩}) حين تصبح الشخصية بؤرة يتم تسليط الضوء عليها، وتتضح حدوده الدنيا في التعريف " بأنه يكون بإمكاننا إعادة كتابة مقطع التبئير الداخلي بصيغة المتكلم دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في النص بتجاوز تبديل الضمائر، ويكون التبئير مثبتاً على شخصية واحدة حين تمر معلومات

^{٣٩} - يعد المنولوج الداخلي من أشهر التقنيات التي تستخدم في رواية تيار الوعي للكشف عما يفتاب الشخصيات من لحظات شعورية تعكس محتوى تفكيرها، ويعرف بأنه : ذلك الحوار الصامت مع النفس، والذي بواسطته يسعى الأديب إلى تقديم رؤية حقيقية وواقعية لما يدور بداخل الشخصيات من أفكار الأمر الذي من خلاله يتولد الوعي .
- أنظر : ادب اور نفسيات، ديوندر اسر، يونين پريس، اشاعت اول، ابريل ١٩٦٣ء، ص ٣٢ .

القارئ عبر منظار هذه الشخصية " (٤٠) وقد انحصر التبئير هنا في التعبير عن مأساة الوباء، وما آلت إليه المدينة؛ فيقول ابن صفي على لسان الراوي:

تبين أن فكرة فريدي صحيحة؛ فقد بدأ الوباء في الانتشار في الجزء الجديد من المدينة؛ ومن ثم أصبحت الشوارع محجورة، ولا أعرف عدد الحوادث التي وقعت، وكان الناس يُضمدون بالسيارات أثناء سيرهم؛ فتسحقهم، وأخذ الناس بالفرار إلى ضواحي المدينة . وفي غضون أسبوع كان الأمر كما لو أن وحوش أسطورية قد حاصرت مدينة قديمة، كما تم استبعاد المسؤولين في الحكومة من المدينة، ونقل جميع المكاتب . هذه الظاهرة الغريبة أذهلت العالم كله؛ فبدأت البعثات الطبية تأتي من بلدان مختلفة، لكن معظم أفراد البعثات أنفسهم وقعوا أيضاً ضحية لنفس الوباء؛ وأصبح لا يمكن السيطرة على الوضع بعد . (٤١)

٤٠ - "التبئير": مصطلح ومفهوم في النقد السردي (Focalisation) ، السعيد بولعسل، عود الند (مجلة ثقافية فصلية رقمية)، الناشر: د. عدلي الهواري، العدد ٧٦: ١٠/٢٠١٢ .

٤١ - " فريدي کا خیال درست نکلا۔ یہ وبا شہر کے جدید حصے میں ان پھیلنے لگی اور پھر سڑکیں ویرانی ہو گئیں، نہ جانے کتنے حادثات ہو چکے تھے۔ لوگ چلتے چلتے گاڑیوں سے جاٹکراتے اور وہ انہیں کچل کر رکھ دیتیں۔ لوگ شہر سے مضافات کی طرف بھاگنے لگے۔ ایک ہفتے کے اندر ہی اندر ایسا معلوم ہونے لگا جیسے اساطیری عفریتوں نے کسی قدیم شہر کو تاراج کر دیا ہو۔ حکومت کی ذمہ دار شخصیتیں بھی شہر سے ہٹ گئی تھیں اور سارے دفاتر ہٹا دیے گئے تھے۔ اس حیرت انگیز وبا نے ساری دنیا کو چکرا کر رکھ دیا۔ مختلف ممالک سے طبی مشن آنے ے طبی مشن آنے لگے لیکن خود ان مشنوں کے بیشتر افراد بھی اسی وبا کا شکار ہو گئے۔ ابھی تک حالات پر قابو نہیں پایا جا سکا تھا ۔ "الروایۃ ص ۵۸ .

وبالنظر إلى الفقرة نلاحظ اهتمام ابن صفي في سرده الديستوبي لانتشار الوباء من خلال تسارع الأحداث، والتداعيات، والمعطيات من زاوية التبئير الخاصة بالشخصية المرافقة للدوال المجتمعية الأمر الذي يعكس مدى التوتر السردى في سعيه للتعبير عن الديستوبيا المشبعة بمشاعر فقد الذات، والشعور بالأدمية . ومما لا شك فيه أن " التبئير الداخلي " في العمل السردى الوبائي عاملاً حيويًا في تكثيف الأثر الدرامى له؛ لأنه يهتم بشكل كبير بالتأثير في القارئ، وإثارة انفعالاته، واستجابته بتحفيز مداركه، وملامسة وعيه، واتضح ذلك أكثر في إشارة الكاتب إلى أن ليس كل الأوطان ملاذاً آمناً، فأحياناً تكون ساحة مباحة للمتأمرين من الدول الخارجية، والخائنين من أبناء المجتمع، والأمر الذي رسخ هذا الشعور الديستوبى، وزاد من مستوى تأثير التبئير هو الشعور بعجز الدولة، وعدم قدرتها على حماية مواطنيها من هذه المؤامرة؛ فهربت القيادات الحكومية، وتركت الشعب فريسة للوباء يواجه مصيره السوداوى الذي نهايته الموت كما اتضح من الفقرة.

وهكذا أكد " ابن صفي " على أن الحرب البيولوجية وتداعياتها التي انتشرت في حقبتنا الزمانية من الأسباب التي رسخت في الأذهان النظرة التشاؤمية للعالم حيث الشعور بالنهاية، وبالخوف، والتهديد، والفناء، وانعدام الأمان، وعدم الرغبة في الحياة، وفقدان أي أمل في إمكانية الحصول على مستقبل أفضل .

١- اتضح من الدراسة أن ابن صفى في روايته " وبائى بيجان " كان قد ارتكز في تصويره للديستوبيا على أربع ركائز هي :

أ- عتبة العنوان ج- تبني نظرية المؤامرة

ب- التبئير الداخلي د- وصف المكان الديستوبي

٢- ومن خلال دراسة تلك المرتكزات تبين أن :

أ- صور " ابن صفى " المجتمعات المقهورة التي تتمركز في العديد من المدن الديستوبية؛ كما نجح في إبراز ملامح الديستوبيا في سرد رواية " وبائى بيجان " التي اتضحت في عدة جوانب منها : الفساد الأخلاقي – انتشار الفوضى والموت – تسلط القوى الاستعمارية - انتشار الوباء – تحول المدينة وضجيجها إلى أماكن أشباح مهجورة – الخيانة - التيه والتنظي في ظل غياب العمل بالقوانين تُجرم التعدي على المجتمعات، وتُعلي من قيمة الإنسان .

ب- عالج ابن صفى كارثة الوباء في نصوص الروية من خلال الاستناد إلى ركائز شكلت معالم الديستوبيا فيها، وأبرزها وجود حكومات وكيانات متسلطة على دول يساعدها بعض الخونة من أبناء البلاد، وأن الصراع مع تلك الكيانات يفتقر إلى الرؤية المعرفية الواضحة، والمتكاملة التي يمكن أن تساعد على الخروج من دائرة القهر، وقد عبر الكاتب عن هذا الجانب من خلال إبراز عدم الواقعية، والهمجية في ردود أفعال المجتمعات غير الواعية. ومن ثم فالرواية تقدم نموذجاً لمجتمع لا يمتلك الأدوات المعرفية التي من الممكن أن تكون باعثاً لأي مواجهة، أو مقاومة على

الرغم من بروز أيديولوجية رفض سياسات القوى الدولية المتسلطة.

ج - تتميز رواية " وبائى بيجان " بأنها لم تكتفِ بطرح فاجعة الوباء، أو رصد واقع ما، بل تخطت ذلك إلى محاولة تسليط بؤرة الضوء على استشراف المستقبل، والتكهن بوجود مخططات تسعى لتدمير دولاً أسيوية، ولا شك أن هذا النوع من الأدب الذي يحوى رؤى استشرافية جاء استجابة لمتطلبات واقعا الذي هو بحاجة إلى تضاصر كافة الجهود من أجل تخطى أزماته .

د - عملت رواية " وبائى بيجان " على تأكيد فكرة استلاب الذات التي ساهمت في تشكيل رؤية واعية، وفنية لقراءة الذات المتطلعة إلى حياة أفضل، والمفتدة للأمن والاستقرار المفتقد لهما بفعل النظم المتسلطة التي تشن حروباً بأشكال عدة بيولوجية وتقنية وغيرها انتشرت في عصرنا بفعل الطفرة المعرفية والعلمية، وكانت من أهم الأسباب التي أكدت على الرؤية السوداوية للعالم حيث الشعور بالنهاية، والتهديد، والفناء، وانعدام الأمان، ومن ثم عدم الرغبة في الحياة بسبب فقدان أي أمل في مستقبل أفضل . ومن ثم علينا أن ننتبه، ونأخذ في الاعتبار أن انعكاس الرؤية غير الواعية في الإنتاج الأدبي ينتقل بدوره إلى المتلقي فيزداد اتساع دائرة التأثير السلبي، وهو من الأمور الخطيرة التي تأتي بنتائج هادمة للمجتمعات.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية

- ١- التبئير: المصطلح والمفهوم في النقد السردي (Focalisation) ، السعيد بوعسل، عود الند (مجلة ثقافية فصلية رقمية)، الناشر: د. عدلي الهواري، العدد ٧٦: ١٠/٢٠١٢.
- ٢- السيموطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام، عدد: ٣، ١٩٩٧ م .
- ٣- الفوضى والشر في أدب المدينة الفاسدة، مجله فكر الثقافة، العدد : ٢٥، يونيو ٢٠١٩ م.
- ٤- اليوتوبيا، إيمان تاور سارجنت، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط أولى، ٢٠١٦ م .
- ٥- دراسة مقارنة للديستوبيا في الأدب العربي والفرنسي، أحمد رضا صاعدي، مجلة اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٠، العدد: ٢، ديسمبر ٢٠٢٢ م .
- ٦- ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية، محروس القللي (دكتور)، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية، مج ١٣، ع: ١، يناير ٢٠٢١ م.
- ٧- سوسولوجيا الأدب والنقد، جميل حمداوي، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م .
- ٨- صورة الأمكنة الديستوبية في الرواية الجزائرية، كريمة نوادرية، مجلة " قراءات "، المركز الجامعي ، ميله ، الجزائر، مج: ١٤، العدد ١ ، سنة ٢٠٢٢ م .

- ۹- مشهديات الديستوبيا في رواية " جمالیکة آرابيا"، أحلان بن الشيخ (دكتور)، مجلة دراسات أدبية، العدد السادس، يونيو ۲۰۱۸ م .
- ۱۰- موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، ت: خليل أحمد خليل، ج ۲، بيروت، عويدات، ط ۳۱، ۲۰۰۱ م .
- ۱۱- هل الوباء مؤامرة، محمد بن عبد الرحمن العمر (دكتور)، موقع الدرر السنية، بدون تاريخ .
- ۱۲- يوتوبيا، مور توماس، ترجمة: أنجل بطرس سمعان، الطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ۱۹۸۷ م .

ثانياً : المصادر والمراجع الأردية

- ۱- ابن صفی زنده ہے، سيد مظفر سلطان بخاری (ڈاکٹر)، بار اول، اگست 1980ء .
- ۲- ابن صفی کے جاسوسی ناولوں میں طنز و مزاح، مناظر عاشق برگانوی، (ڈاکٹر)، ایجوکیشنل پبلشنگ ہاوس، دہلی، سنہ اشاعت 2013ء .
- ۳- ابن صفی کا ناول "وبائی بیجان" اور کورونا وائرس، حمیرا عالیہ، ماہنامہ اردو دنیا، نئی دہلی، شمارہ مئی 2020ء .
- ۴- ابن صفی ایک عہد، ایک رجحان، ترتیب: انتظامیہ دی گریٹ ابن صفی، طبع اول، جولائی 2018ء .
- ۵- ابن صفی کون ہے، مشتاق احمد قریشی، نیر اسد پریس، لاہور، بدون تاریخ .

- ۶- ابن صفی اب انگریزی میں، عثمان قاضی، مشمولہ دنیا زاد، ستمبر 2010ء .
- ۷- ابن صفی کا نیا رُخ، مشتاق احمد قریشی، علم و عرفان پبلشرز، طبع اول، مئی 2017ء .
- ۸- ابن صفی، مشمولہ نیا رخ، ماہنامہ، ابن صفی نمبر، اگست 1981ء .
- ۹- ادب اور نفسیات، دیوندر اسر، یونین پریس، اشاعت اول، اپریل 1963ء .
- ۱۰- احتشام حسین : حیات و شخصیت اور کارنامے، فداء المصطفیٰ فدوی، (ڈاکٹر)، فائن آرٹس، ناگپور، سال اشاعت دسمبر 1985ء .
- ۱۱- اردو ناولٹ : ہیئت، اسالیب اور رجحانات، سید وضاحت حسین رضوی، گولہ گنج، لکھنؤ، 2014ء .
- ۱۲- اردو ناولٹ کا مطالعہ، صدیق محی الدین، یونیورسٹی آف حیدرآباد، 1989ء، ص 97.
- ۱۳- انسائیکلو پیڈیا نفسیات سائنس، بوبی جونسن، پاکستان، 2021ء .
- ۱۴- پاکستان میں اردو ناول، عبد الحق خان تحقیقی مقالہ برائے ڈی فل، جامعہ سندھ، جون 1949ء .
- ۱۵- پاکستان میں مقامی حکومتی نظام، فضل ربی منزہ مبارک (ڈاکٹر)، نیشنل یونیورسٹی آف ماڈرن لینگویجز، اسلام آباد، 2017ء .

۱۶- پاکستان میں فوجی حکومتیں : ایوب خان سے پرویز مشرف

تک، شاہد پبلی کیشنز، لاہور 2010ء .

۱۷- جاسوسی دنیا، ابن صفی، جلد نمبر 25، بدون تاریخ .

۱۸- دوسری جنگ عظیم، محمد مرزا دہلوی، کُتب خانہ علم وادب،

دہلی، طبع اول، مئی 1941م .

۱۹- دوسری جنگ عظیم اور ایشیائی قوموں پر اس کا اثر، ڈی

ایفیموف، مترجم : نامعلوم، سوویت یونین ہند، دہلی، سن اشاعت

1975ء .

۲۰- ناول کیا ہے؟ محمد احسن فاروقی (ڈاکٹر)، درد اکیڈمی،

لاہور، 1964ء .

۲۱- نظریاتی ادعائیت کے خلاف کشادہ ذہنی رویوں کی دستاویز،

آمد، ماہی سہ، جلد اول، اکتوبر تا ستمبر 2012ء .

ثالثاً : شبكة المعلومات الدولية

۱- كيف تناول الأدب موضوع الأوبئة (مقال)، نجيب مبارك، بتاريخ

۷ مارس ۲۰۲۰م .

<https://www.mda-press.net/news>

۲- ویکیبیدیا جون استیوارت میل .

۳- ویکیبیدیا ادب نہایۃ العالم .

۴- www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/sars/